هوامش

أدّى إلغاء مهرجانات النخيل في أنحاء مصر كافة، بسبب تداعيات انتشار وباء كورونا إلى انتشار أسواق التمور والبلح على جوانب الطرق الزراعية والسريعة

اقتضت تقاليد المصريين في النوبة زراعة نخلة عندما يُرزَقون بطفل (Getty)

جني البلح

بدايات مبشرة لموسم الحصاد

القاهرة ـ **محمد كريم**

مع بداية شهر سبتمبر/أيلول، تحولت جوانب الطرق الزراعية والسريعة بمصر إلى سوق ممتد لبيع الأنواع المختلفة من البلح والتمور، حيث يبدأ موسم جني البلح ويستمر لحوالي شهرين. ويبدو أن هذا السوق العفوي الممتد هو البديل الناجع لإلغاء مهرجانات النخيل هذا العام بسبب انتشار فيروس كورونا، والتي كانت تقام سنوياً في العديد من المحافظات، مثل مرسى مطروح والوادي الجديد. ولما كان المصريون من أكثر الشعوب عشقاً للنخيل واستثماراً لمنتجاته، بل إن ثماره تمثل الغذاء الرئيسي في كثير من المناطق المصرية فقد وصلت أنواع النخيل الأصلية والدخيلة في أنحاء البلاد إلى 78 نوعاً مختلف اللون والشكل والمذاق. ويتوقع باحثون بمركز أبحاث النخيل التابع لجامعة القاهرة أن ترتفع إنتاجية النخيل من البلح هذا العام بصورة كبيرة، إضافة إلى تزايدها خلال الأعوام القادمة، وفقاً لخطة استراتيجية موضوعة. والنخيل من أقدم المحاصيل المزروعة في العالم القديم، حيث عرف السومريون والبابليون والآشوريون فوائده الغذائية والطبية منذ أكثر من 5000 عام، فهو من أغنى الثمار التي تحتوي على السعرات الحرارية، وتصل إلى 3000 سعر لكل كيلوغرام بدون نوى، بما يعني أن ثمرة تمر واحدة تكافئ السعرات الحرارية التي تقدمها أربع ثمرات من فاكهة التفاح! أما عن حضور النخيل في الآثار المصرية فتشهد عليه العديد من المكتشفات؛ مثل مومياء ملفوفة في حصير من سعف النخيل تنتمي إلى عصر ما قبل الأسرات، ونخلة صغيرة كاملة عثر عليها بإحدى مقابر سقارة بجانب مومياء تنتمي للأسرة الأولى يعود تاريخها إلى حوالي سنة 3200 قبل الميلاد. كما استعان المصريون بالنخيل في بناء سقوف منازلهم ومقابرهم المصنوعة من الطين اللبن بجذوع النخيل، وحتى بعد أن استخدموا الحجر في البناء في عصورهم التاريخية اللاحقة فإنهم لم يتخلوا عن استخدام النخيل وجذوعه، ويظهر ذلك في مقبرة «رع در» بالجيزة من عصر الأسرة الرابعة (حوالي 2720 قبل الميلاد)، وكانوا يزينون بالنخيل ردهات المعابد ومداخل المدن والرسوم الجدارية.

في العصور القريبة؛ اقتضت تقاليد المصريين الذين يعيشون في منطقة النوبة أن يتم زراعة نخلة عندما يرزقون بطفل، حتى تنمو وتتكاثر وتكون له دعامة اقتصادية في جميع فترات حياته. ففوائد النخيل لا تقتصر على ثمار البلح والتمور فقط، بل إن كل جزء من النخلة يدخل في غرض اقتصادي استفاد منه المصريون منذ عهودهم القديمة. ولأنه يتأقلم مع مختلف الظروف البيئية؛ فإن زراعات النخيل تنتشر في كل أنحاء مصر من سواحل البحر المتوسط شمالاً حتى جنوب السد العالي، بالإضافة إلى التجمعات الكثيفة لنخيل البلح والتمور في العديد من المناطق، مثل واحات الصحراء الغربية: سيوة والداخلة والخارجة والفرافر والفيوم، وفي جنوب سيناء وشمالها، وعلى شواطئ البحر الأحمر وغيرها.

أشرفت منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة، مؤخراً، على إصدار «أطلس نخيل البلح والتمور في مصر»، وهو أطلس مصور يسرد جميع أصناف نخيل البلح والتمور وأماكن وجودها في مصر. ويهدف إلى تنمية معلومات الباحث والمزارع والمستثمر والمصنع بقطاع التمور، حيث قام الأطلس بتفصيل الحديث عن كل صنف تفصيلاً دقيقاً مصوراً، وفيه يتعرف القارئ على السمات الشكلية والتركيبية للنخلة وللثمرة، والقيمة الغذائية، والبيئة المناسبة لزراعته، ومواقع زراعته حالياً، وموسم حصاده، ومستوى الإنتاجية. أما عن قائمة أصناف النخيل التي رصدها الأطلس، فمنها أصناف واسعة الانتشار (16 صنفاً): أمهات، برتمودة، بنت عيشة، جراجودة بيضاء، جراجودة بني، جندبلة، حياني، مكابي، صعيدي، سكوتي، سماني، سلمي، سيوي، شامية بيضاء، شامية بني، زغلول. وهناك قسم الأصناف المنتشرة (14 صنفاً)، ويضم: عجلاني، عجوة، عمري، بيض الجمل، دجنة، جعجع، حلويات، حصاوي، حجازي، كبوشي، مجرش، أم الفراخ، عريبي، تمر الوادي، فريحي. وأصناف نادرة (7 أصناف): عينات، سنتراوي، الفالق، الحمرا، صفر الدومين، سلطاني، طقطقت. بينما يندرج تحت الأصناف النادرة جداً (4 أصناف): إرغم غزال، غزال، صوابع العروسة، وردي. وهناك أصناف متوطنة (27 صنفاً) هي: أبو تيدة، أفراح، أغريب، أجزين، أجبير، عكُوش، أمينزوة، أملال، إزواغ، بادي، باهي، أغرم الصعيد، إغراون نحلوتن، المدينة، عزاوي، غزولي، حلو غانم، حيدرا، كعيبي، لاكرامت، لكوارم، نوار، أولكيك وينجيم، أوشك إنجبيل، سبحة، شالي، طازراخت. وهناك قسم الأصناف الدخيلة (أي العربية) ويضم (10 أصناف): عنبرة، برحي، دجلة نور، حلاوي، خلاص، خضري، مدحول (مجدول)، أم الدهن، صقعي، ونانة.

باختصار

وصلت أنواع النخيل الأصلية والدخيلة في أنحاء البلاد كافة إلى 78 نوعاً مختلف اللون والشكل والمذاق

■■■

استعان المصريون بالنخيل في بناء سقوف منازلهم ومقابرهم المصنوعة من الطين اللبن بجذوع النخيل

■■■

عرف السومريون والبابليون والآشوريون فوائده الغذائية والطبية منذ أكثر من 5000 عام، لأنه من أغنى الثمار بالسعرات الحرارية

وأخيراً

«لسان» سعود الدرمكي العجيب

محمود الرحبي

رُزئ الوسط الفني العماني، قبل شهور، في الفنان سعود الدرمكي.. فقدٌ يصعب تعويضه، خصوصا في ظلّ «السبات» الذي يشهده قطاع الدّراما حاليا، بعد رفع الدعم عنه، ما أصابه بـ«سكتة قلبية» صار معها في حاجة مُلحّةٍ إلى «إنعاش»، ماليّ، وكلنا أمل في النقلة الوزارية الجديدة أن تعيد الدراما العُمانية إلى سابق عهدها، بل أن تدفعها إلى آفاق جديدة، كما هو الحاصل، على سبيل التمثيل، في الدرامتين، الكويتية واللبنانية، اللتين تشهدان تطورات ونقلات جديدة. ترك سعود الدرمكي بصمته الكوميدية الخاصة في حوارات الأعمال والمسلسلات التي شارك فيها. وبغضّ النظر عن درجات الاتفاق أو الاختلاف بشأن «نمطه» الخاص الذي أثار ردود أفعال متباينة، فذلك لا يمنع من الإقرار بأن طريقته في الكلام «غزت» دولَ الجوار التي «قلّد» عديدون من فنانيها تلك الطريقة العُمانية الفكِهة في الحديث التي كرّسها الراحل الدرمكي بصبر وإصرار فنّان أصيل ومبدع صادق.

ظلت الدّراما العُمانية تعاني بشدة من غياب «هوية» لحواراتها إلى أن سطع في سمائها نجم سعود الدرمكي، ذلك القادمُ من العمق العُماني، من الداخل، وتحديدا من ولاية إزكي، غارفا من أعماق البيئة ومفارقاتها وملحتها، حيث خرج بلسانٍ مزج فيه انفعالات السّخرية والمرح بالجدّ في أحاديث العُمانيين، فحواراته صارت «مارْكة» مسجّلة باسمه، بعدما أضفى عليها مسحته الخاصة التي حلّ بفضلها مشكلا حقيقيا كانت الحوارات في الأعمال العُمانية تعاني منه. وبفضل «أسلوب» سعود الدرمكي، صار لذلك النوع من الحوار مريدون وتلامذة، وانحلت بالتالي «عقدة» ذلك الإحساس بـ«الدونية» وبالخجل من اللهجة العُمانية، بما يكتنفها من بلاغةٍ شعبيةٍ ومُضمَراتٍ ساخرة، تعامل معها الدرمكي بسجيته، سيما في طريقة تقليده كبار السنّ. وربّما كانت هذه النقطة تحديدا ما «أغضب» بعض الجماهير، حين ظنّوا أنه «يَسخر» من اللهجة العُمانية القحّة، من دون أن يضعوا في حسبانهم أنّ الكوميديا هي هكذا في جانبٍ منها.. ولا بأس هنا من استحضار سلسة «مرايا» للسّوري ياسر العظمة التي قلّد فيها مختلف اللهجات السورية بطريقة ساخرة، من دون أن يكون قصده التقليل منها أو الحطّ من شأنها، بل البحث عن أهمّ خصائصها الفكهة والمضحكة، والاشتغال عليها ونفض الغبار عنها.

بغضّ النظر عن الانتقادات التي تعرّضَ لها من بعضهم، فقد تعامل سعود الدرمكي مع اللهجة العُمانية، لهجة عُمّان الداخل، بجدّية ربما لم ينتبه إليها كثيرون ممن «هاجموه»، فهو لم يكن يقصد السّخرية من هذه اللهجة أو التقليل منها، وإن كان بعض سكان الخليج تلقفوا بعض تعبيراتها من خلال حواراته، وبدأوا يُمَجّونها ويؤكّدون أنها غير جديرة بأن تتجاوز حدود عُمان. لكنه كان يدرك أن هذا الانفتاح على لهجات الداخل كان ضروريا. وعلى الرغم من كل التأويلات والانتقادات، ظل سعود مصرّا على مساره الكوميدي الخاص، وهو يتعامل مع مشروعه بجدّية تامة، تلك الجدّية التي تعني، في جوهرها، الإضحاك والتسرية، والإخلاص بالتالي للمسار الكوميدي الخاص الذي اشتقه في مسار حياته، معتمدا على إمكاناته الفطرية في تلوين الأصوات، ورفدها بما يناسبها من حركاتٍ وتلويحات وإيماءات. وأتذكّر أني كنتُ، مرّة، في مقر الإذاعة للقاء أو فقرة ثقافية، وكان في الأستوديو قبلي سعود الدرمكي وزميلة له في حوار ضمن مسلسل إذاعي.. جلست في كرسيّ في الخلف أنتظر أن ينتهيا، من دون أن أُبعد عنهما عيني. وعاينتُ كيف كان الدرمكي يبذل جهدا كبيرا في تحويل نبرة صوته من مقامه الاعتيادي إلى المقام الذي عُرف به في أعماله. كان يفعل ذلك بجدّية وصرامة وملامح تعكس الجهد الذي يبذله من أجل ذلك؛ فعلى الرغم من أن النبرة كان يجب أن تخرج بطريقة تُضحك جماهير المستمعين فقد تطلّبت جهدا مضنيا وجدية كاملة من هذا الممثل الاستثنائي. بل كان في كل مرة يُعيد الحوار، إلى أن يصل إلى التسجيل الذي يرضيه. واتضحّ لي أنه كان أيضا مخرج ذلك المسلسل فوق تجسيده ذلك الدور فيه. لبثت أتابعه وهو يكرّر المشهد مرارا ولا يقتنع، حتى بدأ القلق يساورني بأني سأنتظر طويلا، وذلك ما حدث.. ثم غادر الأستوديو، أخيرا، باشّ الوجه، وهو يعتذر لي على تأخيري كل ذلك الوقت، قلتُ له إني سعدتُ بمتابعته قبل الجميع فأطلق ضحكة صادقة. رحمه الله.

> ظلت الدّراما العُمانية تعاني من غياب «هوية» لحواراتها إلى أن سطع في سمائها نجم سعود الدرمكي

سعر النسخة: مصر **جنيهان**، تونس **900 مليم**، لبنان **1000 ليرة**، قطر **3 ريالات**، السعودية **3 ريالات**، الكويت **200 فلس**، الإمارات **3 دراهم**، عمان **300 بيزة**، البحرين **300 فلس**، الأردن **400 فلس**، العراق **500 دينار**، المغرب **4 دراهم**، الجزائر **ديناران**، اليمن **50 ريالاً**، سورية **25 ليرة**، السودان **10 جنيهات**، ليبيا **200 درهم**، موريتانيا **35 أوقية** ◻ UK **£ 1,20**, Austria **€ 2,20**, Belgium **€ 2,20**, France **€ 2,20**, Germany **€ 2,30**, Holland **€ 2,30**, Italy **€ 2,10**, Spain **€ 2,20**, Switzerland **CHF 3,50**
Turkey **TL 5,00**, USA **$ 2,00**